ومنه غريب القران والحديث والغريب القبيح يعاب استعماله مطلقا ويسمى الوحشي الغليظ وهو
ان يكون مع كونه غريب الاستعمال ثقيلا على السمع كريها على الذوق ويسمى المتوعر ايضا وذلك
مثل جحيش للفريد واطلخم الامر وجفخ وامثال ذلك وقولنا غير ظاهرة المعنى ولا مانوسة الاستعمال
تفسير للوحشية مع كونه مخلا بالفصاحة المبدا ولذا في المعنى فما يفهم ظاهر الفساد وان
اريد بالفصاحة معنى اخر وزعم ان شيئا من التنافر والغرابة والمخالفة لا يخل بها فلا مشاحة
والمخالفة ان تكون الكلمة على خلاف القانون المستنبط من تتبع لغة العرب اعني مفردات الفاظهم الموضوعة
او ما في حكمها كوجوب الاعلال في نحو قام والادغام في نحو مد وغير ذلك مما يشتمل عليه علم التصريف
واما نحو ابى يابى وعور واستحوذ وقطط شعره وال وماء وما اشبه ذلك من الشواذ الثابتة
في اللغة فليست من المخالفة في شيء لانها كذلك ثبتت عن الواضع فهي في حكم المستثناة فكانه قال
القياس كذا الا في هذه الصور بل المخالفة ما لا يكون على وفق ما ثبت عن الواضع نحو الاجلل بفك
الادغام في قوله الحمد لله العلي الاجلل والقياس الاجل قيل فصاحة المفرد خلوصه
مما ذكر ومن الكراهة في السمع بان تمج الكلمة ويتبرأ السمع من سماعها كما يتبرأ من سماع الاصوات المنكرة فان اللفظ
من قبيل الاصوات والاصوات منها ما تستلذ النفس سماعه ومنها ما تستكرهه نحو الجرشى في
قول ابي الطيب في مدح سيف الدولة ابي الحسن علي مبارك الاسم اغر اللقب كريم الجرشى اي
النفس شريف النسب فالاسم مبارك لموافقته اسم امير المؤمنين علي رضي الله عنه واللقب مشهور
بين الناس والاغر من الخيل الابيض الجبهة ثم استعير لكل واضح معروف وفيه نظر لانها
داخلة تحت الغرابة المفسرة بالوحشية لظهور ان الجرشى انما هو من قبيل ما تكاكاتم وافرنقعوا او الجحيش
واطلخم وقد ذكر ههنا وجوه اخر الاول انها ان ادت الى الثقل فتدخل تحت
التنافر والا فلا تخل بالفصاحة الثاني ان ما ذكره هذا القائل في بيان هذا الشرط
ان اللفظ من قبيل الاصوات فاسد لان اللفظ ليس بصوت بل كيفية له كما عرف في موضعه وضعف
هذين الوجهين ظاهر الثالث ان الكراهة في السمع راجعة الى النغم فكم من لفظ فصيح يستكره
في السمع اذا ادي بنغم غير متناسبة وصوت منكر وكم من لفظ غير فصيح يستلذ اذا ادي بنغم متناسبة
وصوت طيب وليس بشيء للقطع باستكراه الجرشى دون النفس سواء ادي بصوت حسن او غيره
وكذا في جحيش ومليح دون فريد وعلم الرابع ان مثل ذلك واقع في التنزيل كلفظ ضيزى
وهو ... ودسر ونحو ذلك وفيه نظر لانه ربما يعرض لاسباب الاخلال بالفصاحة ما يمنع التشبيه
فتصير اللفظة فصيحة فان مفردات الالفاظ متفاوتة باختلاف المقامات كما سيجي في الخاتمة ولفظ
ضيزى ودسر كذلك والفصاحة في الكلام خلوصه من ضعف التاليف وتنافر الكلمات والتعقيد مع فصاحتها
حال من الضمير في خلوصه اي خلوصه مما ذكر مع فصاحة كلماته فاحترز به عن نحو زيد اجلل وشعره
مستشزر وانفه مسرج ولا يجوز ان يكون حالا من الكلمات في تنافر الكلمات لانه يستلزم ان يكون

كلام مشتمل على الكلمات الغير الفصيحة متنافرة كانت او لا فصيحا لانه صادق عليه انه خالص من تنافر
الكلمات حال كونها فصيحة فافهم فالضعف ان يكون تاليف اجزاء الكلام على خلاف القانون النحوي
المشهور فيما بين معظم اصحابه حتى يمتنع عند الجمهور كالاضمار قبل الذكر لفظا ومعنى نحو ضرب غلامه
زيدا فانه غير فصيح وان كان مثل هذه الصورة اعني ما اتصل بالفاعل ضمير المفعول به
مما اجازه الاخفش وتبعه ابن جني لشدة اقتضاء الفعل المفعول به كالفاعل واستشهد بقوله
جزى ربه عني عدي بن حاتم • جزاء الكلاب العاويات وقد فعل • وقوله
لما عصى اصحابه مصعبا • ادى اليه الكيل صاعا بصاع
ورد بان الضمير للمصدر المدلول عليه بالفعل اي رب الجزاء واصحاب العصيان كقوله تعالى اعدلوا هو
اقرب للتقوى اي العدل واما قوله • جزى بنوه ابا الغيلان عن كبر وحسن فعل كما يجزى سنمار •
وقوله • الا ليت شعري هل يلومن قومه زهيرا على ما جر من كل جانب • فشاذ لا يقاس عليه
والتنافر ان تكون الكلمات ثقيلة على اللسان وان كان كل منها فصيحا فمنه ما هو متناه في الثقل كقوله
وليس قرب قبر حرب قبر صدره وقبر حرب بمكان قفر اي خال من الماء والكلا ومنه ما دون ذلك
مثل قوله اي قول ابي تمام كريم متى امدحه امدحه والورى معي واذا ما لمته لمته وحدي
والورى مبتدا خبره معي والواو للحال اي لا يشاركني احد في ملامته لانه انما يستحق المدح دون الملامة
وفي استعمال اذا والفعل الماضي ههنا اشارة لطيفة وهو ايهام ثبوت المدعى كانه تحقق منه اللوم فلم
يشاركه فيه احد لكن مقابلة المدح باللوم دون الذم والهجاء مما عابه الصاحب قال المصنف فان في
امدحه ثقلا لما بين الحاء والهاء من التنافر ولعله اراد ان فيه شيئا من الثقل والتنافر فاذا انضم اليه
امدحه الثاني تضاعف ذلك الثقل وحصل التنافر المخل بالفصاحة ولم يرد ان مجرد امدحه
غير فصيح فان مثله واقع في التنزيل نحو فسبحه والقول باشتمال القران على كلام غير فصيح مما لا يجترئ
عليه المؤمن صرح بذلك ابن العميد وهو اول من عاب هذا البيت على ابي تمام حيث قال هذا التكرير
في امدحه امدحه مع الجمع بين الحاء والهاء وهما حرفا الحلق خارج عن حد الاعتدال نافر كل التنافر
ولو قال فان في تكرر امدحه ثقلا لكان اولى وبين المثالين فرق اخر وهو ان منشا الثقل في الاول
نفس اجتماع الكلمات وفي الثاني حروف منها وزعم بعضهم ان من التنافر جمع كلمة مع اخرى غير مناسبة
لها كجمع سجنجل مع قنديل ومسجد بالنسبة الى الحجازي مثلا وهو وهم لانه لا يوجب الثقل على اللسان فهو انما
يخل بالبلاغة دون الفصاحة والتعقيد اي كون الكلام معقدا على المصدر من المبني للمفعول ان لا
يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد منه لخلل واقع اما في النظم بان لا يكون ترتيب الالفاظ على وفق ترتيب
المعاني بسبب تقديم او تاخير او حذف او اضمار او غير ذلك مما يوجب صعوبة فهم المراد وان كان ثابتا
في الكلام جاريا على القوانين فان سبب التعقيد يجوز ان يكون اجتماع امور كل منها شائع الاستعمال
في كلام العرب ويجوز ان يكون التعقيد حاصلا ببعض منها لكنه مع اسباب اجتمع تكون اشد واقوى

Copyright © King Saud University